الترجمة والتفسير الفروق والخصائص

د.هشام بن احميدان.
جامعة محمد الخامس. الرباط
د. مبارك العود.
جامعةمحمدالخامس. الرباط

إن اللغة هي أداة التواصل والتفاهم بين الأمم والشعوب على مر العصور والأزمان فهي الوسيلة التي يتم بها التعبير، وتعكس تقدم ورقي الأمم في شتى مجالات العلم والمعرفة، وهي تتغير بحسب الأمم والظروف لتستوعب جميع الأحداث ومجريات الأمور. ويرى ابن جني في كتاب الخصائص أن اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[1]. فاللغة بوعائها، ومتى جردت منه كتب عليها الضمور والفناء[2]،وتنطلق دراستنا الحالية من هذا المنطلق اللساني الذي اعتمد وحدة الصوت لما له من أثر عميق بالنفس وإمتاع للفكر وإثراء للكلام لتعميق التواصل. وبسبب ما يتطلبه التواصل الحضاري والثقافي منذ الوهلة الأولى لبني الإنسانية جمعاء واحتياجات الإنسانية مع ما يحدث من تطور في ظل النظام العالمي الجديد، وخاصة في الآونة الأخيرة، والتغيرات التي صاحبت الثورة الصناعية والتطور التكنولوجي الهائل، وما أنتجه من تغير جذري سلبا وإيجابا للإنسانية حتى أصبح العالم كقرية صغيرة، كل ذلك التغيروغيره الكثير يفرض نفسه وتصبح الترجمة والاعتناء بها أمرا حتميا وأساسيا لمواكبة وتلبية التقدم وتواصل الأمم بثقافاتها المختلفة، حتى غدت الترجمة مبدءا أساسيا من مبادئ التواصل والتفاعل الحضاري وإزاحة عقبة الحاجز اللغوي، فرغم أن الترجمة كما يرى الباحثون كانت ولا تزال الخيط الناظم وجسر التواصل الذي ربط ويربط بين الأمم باختلافها على مدى تاريخها، فإن الترجمة حاجة ملحة للحضارة الإنسانية. وقد أدرك أسلافنا المسلمون ومنذ الوهلة الأولى لمجئ الرسالة المحمدية وبزوغ شمس الحضارة الإسلامية وانتشار شعاعها، أدركوا أهمية الترجمة في مختلف مناحي الحياة، فاعتنوا بها وأعطوها جل اهتمامهم. وفي هذه الورقة سنسلط الضوء على أهم وجهات النظر في تداخل والتباس المفاهيم كالتفسير والترجمة من وجهة نظر عربية إسلامية،وأهم مراحل الترجمة وأنواعها وما يتعلق بترجمة النص الديني

1- الخصائص، ابن جني،ج1 - 33.

2- انظرمنهاج المترجم، الديداوي،16.

عامة والقرآن الكريم خاصة، وكيف أثرت إيجابا كعامل أساس وركيزة لبناء الحضارة الإسلامية وازدهارها، ونشر المبادئ السمحة لديننا الإسلامي الحنيف في أوج عصور الأمة الإسلامية، ثم تأثرت وأثرت سلبا إبان عصر أفول نجم الحضارة الإسلامية المتمثل بسقوط عاصمة الخلافة الإسلامية بغداد، وما تلاها في زمن الانحطاط لأمتنا الإسلامية في العصر الحديث.

وتتناول الدراسة العلاقة المحورية بين مفهومي التفسير والترجمة خلال تلك الحقبة الزمنية التي امتدت ردحا من الزمن زهاء الثمانية قرون، ومن ثم انتشرت وتطورت الترجمة، مما أدى إلى حركة النقل والترجمة آنذاك كحركة منظمة في التاريخ قام بها العرب لنقل تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف وازدهار لغة الضاد، وقد ترجم المسلمون عن القبطية والفارسية واليونانية والهندية وغيرها، فقد أعطت وأخذت لتلك الأمم وساهمت في نقل وغرس التراث الفكري الإسلامي لتلك الأمم، وتميزت بتنوعها لتشمل كل العلوم كعلم الدين والفلسفة والمنطق والرياضيات والكيمياء والطب والفلك. ومما لا شك فيه أن الترجمة كانت ولا زالت عملية فكرية فنية ذهنية ولغوية تتطلب أن يكون المترجم ملما بعلوم اللغة أو اللغات ليتمكن من استيعاب المضامين والرؤى لتلك النصوص المستهدفة، ومن ثم ترجمتها وتوضيحها بنفس اللغة أو نقلها بنفس المضمون والمعنى إلى اللغة الأخرى مع قوة التأثير. ويلفت انتباه الباحث أن الترجمة شخصية، وفي هذا المحتوى يركز الديداوي اهتمامه على أن للترجمة مراتب ومرتبتها العليا يبلغها المترجم بعد الكد والجد، إن هو تزود بالكثير من مخزون اللغة واستطاع أن يسخر قوالبها وإمكاناتها إلى حد الإبداع بومضات من إشراق العارف وتجلي الواصل المتواصل روحانيا مع التراث، بحيث يوصله إلى درجة الاستمتاع ثم الإمتاع، إذ يهتدي إلى المقابل في أبهى صوره وأقرب مآخذه وألطف معانيه وأجمل تخاريجه وأدق تفاصيله وأوجه جوانبه. ولبلوغ ذلك المبلغ يشترط الإبداع، والذي يتطلب إبداعا لغويا لفهم دلالات النص ومعانيه.

وإن البحث في إمكانية ترجمة القرآن الكريم ليس أمرا نظريا أو افتراضيا، وإنما هو موضوع واقعي شغل العلماء والباحثين في الدراسات القرآنية منذ مطلع القرن العشرين، وقبل ذلك مع علماء التفسير من القرون الأولى للبعثة المحمدية، وتبعا لذلك فإن الأمر لا يزال بحثا فكريا هاما يحتاج إلى دراسة هادئة وواضحة تكشف دوافعه ومراميه وملابساته، ولما كانت رسالة الإسلام إلى البشرية كافة على اختلاف أجناسها وألوانها، لزم البلاغ والبيان لهاته الرسالة الخالدة، والقرآن الكريم إذ نزل باللغة العربية، صار إبلاغه لغير العرب ملزما، ومن ثم فإن إلزامية البلاغ اقتضت ترجمته إلى لسان الوافدين على الدين الجديد؛ دين الإسلام، فكانت خير أمة أخرجت للناس، وبما أن إبلاغ هذا الدين يلزم البيان والتوضيح بلغة الأصل؛ العربية أو اللغة

المغايرة للغة التنزيل فإن المفسرين لم يألوا جهدا في هذا المقام منذ القرون الأولى لنزول الوحي الإلهي، غير أن هذا التفسير والبيان اقتضت الضرورة هو الآخر إلى نقله إلى لغات أجنبية عن اللغة العربية، حتى يدخل الناس في هذا الدين الجديد ويفهموا ويستوعبوا رسالته، ومن ثم تداخلت مفاهيم التفسير والبيان بمفاهيم أخرى كالترجمة والتأويل والشرح، وغيرها من المصطلحات التي تجري في فلك البيان والتوضيح، حيث إن هذا الالتباس بين المفاهيم أثار لدينا الفضول للكشف عن أهم الصلات والوشائج الجامعة بين مفهومي التفسير والترجمة خاصة، أو الكشف عن أهم الفروق الدقيقة بين مصطلحين طالما التبست حمولتهما المعرفية لدى الباحث العربي خاصة، أو لدى أهل صناعة الترجمة عامة.

فمبحث الترجمة مبحث دقيق، انقسم فيه الدارسون بين مانعين ومجوزين، فكانت الترجمات المتعددة لمعاني القرآن الكريم، التي نقلت من الأغلاط والانحراف ما يجعلنا ندقق النظر في هذا المستوى من الدرس القرآني.

ومن خلال هذه الطروحات بدا لنا أن نلقي الضوء على أهم الإشكالات المتعلقة بهذه الدراسة، ويمكن صياغتها على الشكل الآتي:

- ما هي حدود الترجمة والتفسير في المعاجم اللغوية قديما وحديثا ؟
- وما هي أهم الفروق الفاصلة بين المفهومين ؟
- وإلى أي حد تتواشج علائق المفهومين في التراث العربي، ثم في الدراسات الغربية المتعلقة بالترجمة الحديثة ؟

وللتصدي لتلك الإشكالات العالقة، رمنا الاستعانة بالمنهج الاستقرائي، من خلال استحضار نصوص بعض المفسرين ومعالجتها على ضوء ما ورد بالمعاجم العربية قديما وحديثا، مع العمل على تحليل المعطيات المتعلقة بضبط أهم الفروق الكامنة بين مفهومي الترجمة والتفسير.

1 - معاني الترجمة والتفسير:

تعريف الترجمة

يعتبر مفهوم الترجمة من أهم المفاهيم التي لا تزال محور الجدل والنقاش بين علماء العصر الحديث، وخاصة ما يتعلق بترجمة النص الديني. وتهدف هذه الورقة إلى التركيز على مفهومي التفسير والترجمة وإثارة وجهات النظر وخاصة الإسلامية منها حول تلك العلاقة المتداخلة بين تلك المفاهيم وطبيعتها، للوصول ما أمكن إلى الهدف المنشود لإثراء حقل الترجمة.

ونتيجة لقيام الدولة الإسلامية على يد منقذ البشرية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والذي بدأ بالترجمة أثناء مراسلته مع الملوك وما تبعه من انتشار الدين الإسلامي الحنيف، وتغلبه على الأمم الأخرى وخاصة الفرس والروم. كل ذلك أدى إلى تأثر الترجمة وتطورها،خاصة لقراءة وفهم واستيعاب القرآن الكريم لتلك الأمم والشعوب والتأثير عليها والتأثر بها لنقل العلوم والمعرفة أخذا وعطاء. وقد أدرك أسلافنا المسلمون أهمية الترجمة وسخروا لها الكم الهائل من الطاقات الفكرية. وأسسوا علم التفسير لفهم واستيعاب القرآن الكريم وأحكامه وإعجازه البلاغي. وجاء مفهوم الترجمة من رحم علم التفسير مرادفا ومكملا له، بالرغم ما يبدو للقارئ من أول وهلة أن الترجمة علم مستقل حسبما وضعه وتبناه العلماء الأجانب.

ونستهل مناقشتنا لهذا المفهوم بما يرى ابن منظور بفصل التاء بأن "الترجمان:المفسر للسان . . هو الذي يترجم الكلام؛أي ينقله من لغة إلى لغة أخرى، والجمع تراجم"[1]. ويشير مرتضى الزبيدي بأن المترجم تعني المفسر للغة وأن تفسير النص يعني ترجمته إلى لغة أخرى[2] . وقد تناول الكثير من اللغويين الأقدمون مفهوم الترجمة، ولسنا هنا بصدد استعراض تلك النصوص والمفاهيم ومراحل تطورها وما احتوته من رؤى وتباينات تتوافق أو تتعارض مع ما ترنو إليه هذه الورقة، ولكن ما يهمنا هو أن الترجمة من وجهة العلماء واللغويين العرب تعني الشرح والتفسير. ويرى آخرون بأن المعنى العام للترجمة هو مطلق البيان والتعبير، وتستعمل الترجمة في لغة العرب بمعنى التبيين مطلقا. ولعل أفضل تعريف للترجمة بالمفهوم العام ما ذكره الزرقاني بأن الترجمة في العرف العام هي: التعبير عن معنى كلام في لغة بكلام آخر من لغة أخرى مع الوفاء بجميع مقاصده ومعانيه.

وقد استمرت العلاقة بين مفهومي التفسير والترجمة علاقة طردية يصعب التفريق بينهما ابتداء بعصر نشأة الدولة الإسلامية مرورا بعصر الخلافة الإسلامية بجميع أنواعها المختلفة والتي شملت:

- الخلافة الإسلامية من نشأتها وحتى نهاية خلافة الخلفاء الراشدين، وكانت العاصمة المدينة المنورة تقريبا.
- العصر الأموي والذي امتد (41 – 132 ه/ 662 – 750م)، والعاصمة دمشق.
- العصر العباسي والذي امتد (750 – 1258 م)، والعاصمة بغداد، وانتهى بسقوط بغداد على يد المغول بقيادة هولاكو.

1- لسان العرب، ابن منظور، 12: 66 – 229.

2- تاج العروس، مرتضى الزبيدي، 3: 327.

أ – معنى الترجمة:

وضعت كلمة الترجمة في اللغة العربية لتدل على أحد معاني أربعة:

أولها: تبليغ الكلام لمن لم يبلغه، ومنه قول الشاعر:

إن الثمانين حولا وبلغتها &&& قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

ثانيها: تفسير الكلام بلغته التي جاء بها، ومنه قيل في ابن عباس، إنه ترجمان القرآن، ولعل الزمخشري في كتابه أساس البلاغة يقصد هذا المعنى، إذ يقول: كل ما ترجم عن حال شيء فهو تفسرته[1].

ثالثها: تفسير الكلام بلغة غير لغته، وقد جاء في لسان العرب،والتَّرْجُمانُ والتُّرْجُمانُ: المفسِّر،قال "لترجمانه" هو بالضم والفتح من يترجم الكلام؛ أي ينقله من لغة إلى أخرى، والجمع التراجم[2]. وفي القاموس أن الترجمان هو المفسر للكلام،وتَرْجَمَ كلامَه إذا فَسَّرَهُ بِلِسَانٍ آخَرَ[3].وقال شارح القاموس ما نصه: قد ترجمه وترجم عنه، وَهَذِه هِيَ المَشْهورَةُ على الْأَلْسِنَة: (المُفَسِّرُ لِلِّسان). وَقد تَرْجَمَهُ وتَرْجَمَ عَنْهُ: إذا فَسَّر كَلامَه بِلِسانٍ آخَرَ[4]،ويقال: قد ترجم كلامه، إذا فسَّره بلسان آخر[5]. وجاء في تفسير ابن كثير والبغوي أن كلمة ترجمة تستعمل في لغة العرب بمعنى التبيين سواء اتحدت اللغة أم اختلفت[6].ويقال: قد ترجم كلامه، إذا فسَّره بلسان آخر. ومنه الترجمان، والجمع التراجم[7].

---

1 - أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (538هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان،الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م، مادة: ف – س- ر.

2 - مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (المتوفى: 986هـ)،مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية،الطبعة: الثالثة، 1387هـ -1967م، 257/1.

3 - لسان العرب، مادة: ر- ج- م.

4 - تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (1205هـ)، مادة: ت- ر- ج- م.

5 - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين –بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م، مادة: ر- ج- م

6 -تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (774هـ)تحقيق:سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م، 23/1.

7 - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ)،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين –بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م، مادة: ر- ج - م.

رابعها: نقل الكلام من لغة إلى أخرى، قال في لسان العرب، التُّرجمان بالضَّم والفتح هو الذي يترجم الكلام؛ أي ينقله من لغة إلى أخرى، والجمع تراجم[1]، وشارح القاموس بعد أن أورد المعنى السابق في ترجمه وترجم عنه، قال: وقيل نقله من لغة إلى أخرى[2].

ونستشف من هذه المعاني الأربعة في المعجم أن كلمة الترجمة انحازت إلى معنى البيان والتوضيح، "ومن ثم جاز على سبيل التوسع إطلاق الترجمة على كل ما فيه بيان ما عدا هذه الأربعة، فقيل ترجم لهذا الباب بكذا؛ أي عنون له، وترجم لفلان أي بيّن تاريخه، وترجم حياته، أي بين ما كان فيها، وترجمة هذا الباب كذا، أي بيان المقصود منه"[3].وكان الخليفة عمر بن الخطاب (ض) أول من اهتم بالتعريب نقلا عن الفرس بتعريب دواوين الجند لأجل رواتبهم، وأصبحت الترجمة ذات طابع علمي بعهد الخليفة الأموي خالد بن يزيد بن معاوية. وشهدت الترجمة بعد ذلك اتجاهان،"وللترجمة في النقل طريقتان إحداهما طريقة يوحنا بن البطريق وابن ناعمة الحمصي، وغيرهما، وهو أن ينظر إلى كلمة مفردة من الكلمات اليونانية، وما تدل عليه من المعنى، فيأتي الناقل بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها وينتقل إلى الأخرى كذلك، حتى يأتي على جملة ما يريد تعريبه ... والطريقة الثانية في التعريب طريقة حنين ابن إسحاق والجوهري وغيرهما، وهو أن يأتي بالجملة فيحصل معناها في ذهنه، ويعبر عنها في اللغة الأخرى بجملة تطابقها، سواء ساوت الألفاظ أو خالفتها."[4]

ومن هنا انبثقت فكرة تقسيم الترجمة من وجهة نظر العلماء إلى أنواع متعددة طبقا للطريقة التي تتم بها عملية الترجمة تلك، ومن أهمها:الترجمة الحرفية- الترجمة بتصرف- الترجمة الإبداعية (الحرة)- الترجمة الشارحة أو التفسيرية- الترجمة التلخيصية- ترجمة التعريب- ترجمة الأقلمة- ترجمة الإقتباس[5]

ب - أما معنى التفسير لغة فإنه:« مصدر فسر بتشديد السين، الذي هو مضاعف فسر بالتخفيف (من بابي نصر وضرب)، الذي مصدره الفسر، وكلاهما فعل متعد، فالتضعيف ليس للتعدية، والفسر الإبانة والكشف لمدلول كلام أو لفظ بكلام آخر هو أوضح المعنى المفسر عند

---

1 - لسان العرب،ابن منظور، مادة: ر-ج -م.

2 - تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت 1205هـ)، مادة: ر-ج -م.

3 - مناهل العرفان، الزرقاني، ص: 109

4- أسس الترجمة، عز الدين محمد نجيب، مكتبة ابن سيناء،القاهرة، 2005م، ص5-6

5- المرجع نفسه، الصفحة 17 - 21.

السامع » [1]. وإذا لم يكن التضعيف للتعدية، فهو للتكثير؛ أي البيان بالكثير من القول للكشف عن مدلول كلام أو لفظ، وهذا المعنى اللغوي لا يخرج عن المتداول في المعاجم اللغوية، أو ما أورده المؤلفون في التفسير عند الإتيان بالمعنى اللغوي؛ والخلاصة في المعنى اللغوي للتفسير أنه الإيضاح والكشف، وقد يراد به التفصيل كقوله تعالى : [وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا][2]، ولا شك أن هذا المعنى راجع إلى المعاني المتقدمة؛ أي الإظهار والكشف والإيضاح، وجميعها متقاربة.

أما التفسير اصطلاحا فقد عرفه الطاهر بن عاشور بقوله: «هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن، وما يستفاد منها باختصار أو توسع»[3]. فالتفسير عنده لا يختلف عن سابقيه، من كونه علما يبحث في شرح وتوضيح ألفاظ القرآن ومعانيه، وبما يقتضيه سياق النص، على قدر استطاعة المفسر من جلب العلوم المساعدة في التفسير، التي سماها ابن عاشور باستمداد علم التفسير، وبالتالي فإن التفسير حسب ابن عاشور نفسه هو: «شرح مراد الله تعالى من القرآن ليفهمه من لم يصل ذوقه وإدراكه إلى فهم دقائق العربية، وليعتاد بممارسة ذلك فهم كلام العرب وأساليبهم من تلقاء نفسه»[4].

ومع ذلك فقد حاول ابن عاشور أن يخرج القول بكون التفسير علما على ستة أوجه، فصلها في المقدمة الأولى من مقدمات تفسيره. ومن تم نعى على المفسرين اهتمامهم بأغراض دون أخرى في التفسير، ولذلك فهو يؤكد أن من وجوه إصلاح التفسير والنهوض به، العمل على « تفسير التراكيب القرآنية جريا على معاني الكلمات القرآنية بحسب استعمال اللغة العربية، ثم أخذ المعاني من دلالة الألفاظ والتراكيب وخواص البلاغة، ثم استخلاص المعاني المدلولة منها بدلالات المطابقة والتضمن والالتزام، مما يسمح به النظم البديع (للقرآن)، ولو تعددت المحامل والاحتمالات، فلا يكون التفسير عندها مجرد ترجمة كلام من لغة إلى لغة أخرى »[5] .

«فالتفسير إذا، إنما هو غوص لاكتشاف المعاني التي تنطوي عليها آيات القرآن الكريم، والمقاصد التي ترشد إليها، مثلما هو سعي لاقتناص الكليات التي تنضوي تحتها تلك المقاصد والمعاني »[6].

1- التحرير والتنوير: 1/ 10

2- سورة الفرقان، الآية: 33

3- التحرير والتنوير: 11/1

4- أليس الصبح بقريب، ص: 160

5- المرجع نفسه، ص: 165.

6- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2 - الترجمة في العرف العام:

الترجمة في العرف العام يقصد بها الترجمة بالمعنى الرابع اللغوي في إطلاقات اللغة السابقة؛ وهي نقل الكلام من لغة إلى أخرى؛ ومعنى نقل الكلام من لغة إلى أخرى: التعبير عن معناه بكلام آخر من لغة أخرى، مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده، كأنك نقلت الكلام نفسه من لغته الأولى إلى اللغة الثانية، وتبعا لهذا التعريف المستند إلى المعنى الرابع من المعجم بخصوص تعريف الترجمة، فإن علماء القرآن الكريم والتفسير ذهبوا في تقسيمها إلى ثلاثة أنواع من الترجمة بخصوص القرآن الكريم، وهي كالآتي:

الترجمة الحرفية: وهي نقل الألفاظ من لغة إلى نظائرها من اللغة الأخرى، وتراعى فيها محاكاة الأصل في نظمه وترتيبه، فهي تشبه وضع المرادف مكان مرادفه، وبعض الدارسين يسمي هذه الترجمة لفظية، وبعضهم يسميها مساوية؛ فالمترجم في هذه الحالة يقصد إلى كل كلمة في الأصل فيفهمها ثم يستبدل بها كلمة تساويها في اللغة الأخرى، مع وضعها موضعها وإحلالها محلها، وإن أدى ذلك إلى خفاء المعنى المراد من الأصل بسبب اختلاف اللغتين في مواقع استعمال الكلام في المعاني المرادة.

فالترجمة الحرفية بهذا المعنى لا يمكن حصولها مع المحافظة على سياق الأصل، والإحاطة بجميع معناه، فخصوصية كل لغة تجعلها تختلف عن غيرها في ترتيب أجزاء الجملة، والتعبير العربي يحمل في طياته من أسرار اللغة ما لا يمكن أن يحل محله تعبير آخر بلغة أخرى.

ومن ثم فإن الألفاظ في الترجمة لا تكون متساوية المعنى من كل وجه فضلا عن التركيب، والقرآن الكريم كما هو معلوم في قمة العربية فصاحة وبلاغة، وله من خواص التركيب وأسرار الأساليب، ولطائف المعاني، وسائر آيات إعجازه ما لايستقل بأدائه لسان.

الترجمة المعنوية: إن القرآن الكريم، وكذا كل كلام عربي بليغ له معان أصلية ومعان ثانوية، والمراد بالمعاني الأصلية؛ المعاني التي يستوي فيها كل من عرف مدلولات الألفاظ المفردة، وعرف وجوه تراكيبها معرفة إجمالية، والمراد بالمعاني الثانوية خواص النظم التي يرتفع بها شأن الكلام، وبها كان القرآن معجزا، " فالمعنى الأصلي لبعض الآيات قد يوافق فيه منثور كلام العرب أو منظومه، ولا تمس هذه الموافقة إعجاز القرآن، فإن إعجازه ببديع نظمه وروعة بيانه؛ أي بالمعنى الثانوي"[1]، ولهذا المعنى أشار الزمخشري بقوله: " إن في كلام العرب خصوصا القرآن من لطائف المعاني ما لا يستقل بأدائه لسان"[2].

---

1 - مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، 325/1

2 - الكشاف، الزمخشري، ص: 57

وكما هو معلوم، إن ترجمة معاني القرآن الثانوية أمر غير ميسور، إذ إنه لا توجد لغة توافق اللغة العربية في دلالة ألفاظها على هذه المعاني المسماة عند علماء البيان خواص التراكيب، وإن هذه الوجوه والخواص مما تسامت به لغة القرآن الكريم، بحيث لا يفي بحقها في أداء معناها لغة أخرى، ومن المحال حمل لغة أخرى خواص تراكيب العربية.

أما المعاني الأصلية فهي التي لا يمكن نقلها إلى لغة أخرى، وقد ذكر الشاطبي في الموافقات المعاني الأصلية والمعاني الثانوية، حيث قال: " إن ترجمة القرآن على الوجه الأول- يعني النظر إلى معانيه الأصلية- ممكن، ومن جهته صح تفسير القرآن وبيان معانيه للعامة، ومن ليس لهم فهم يقوى على تحصيل معانيه، وكان ذلك جائزا باتفاق أهل الإسلام، فصار هذا الاتفاق حجة في صحة الترجمة على المعنى الأصلي" [1]، ومع هذا فإن ترجمة المعاني الأصلية لا تخلو من فساد، إذ إن اللفظ الواحد في القرآن الكريم قد يكون له معنيان أو معان تحتملها الآية، فيضع المترجم لفظا يدل على معنى واحد، حيث لا يجد لفظا يشاكل اللفظ العربي في احتمال تلك المعاني المتعددة، وتجدر الإشارة هنا إلى التنبيه على أهم شروط الترجمة الحرفية والتفسيرية، حتى يكون الدارس على علم بدقة هاته العملية العلمية، وهي كالآتي:

1 – معرفة المترجم لأوضاع اللغتين، لغة الأصل ولغة الترجمة.

2 معرفته لأساليبهما وخصائصهما.

3 – وفاء الترجمة بجميع معاني الأصل ومقاصده على وجه مطمئن.

4 – أن تكون صيغة الترجمة مستقلة عن الأصل، بحيث يمكن أن يستغنى بها عنه، وأن تحل محله كأنه لا أصل هناك ولا فرع.وطبقا لهذه الشروط والمعايير اللازمة تكون الترجمة مستحيلة بهذا الشكل خاصة مع القرآن الكريم، وهذا يؤدي إلى الانتقال لمباشرة النوع الآخر من الترجمة، وهو الترجمة التفسيرية.

- <u>الترجمة التفسيرية:</u>

أما الترجمة التفسيرية فهي بيان معنى الكلام بلغة أخرى من غير تقييد بترتيب كلمات الأصل، فهي التي لا تراعى فيها تلك المحاكاة، أي محاكاة الأصل في نظمه وترتيبه، بل المهم فيها حسن تصوير المعاني والأغراض كاملة، ولهذا تسمى أيضا بالترجمة المعنوية، وسميت تفسيرية، لأن حسن تصوير المعاني والأغراض فيها جعلها تشبه التفسير، فالمترجم في هذه الحالة يعمد إلى المعنى الذي يدل عليه السياق فيفهمه ثم يصبه في قالب يؤديه من اللغة

---

1 - الموافقات،الشاطبي، ص:35

الأخرى موافقا لمراد صاحب الأصل، من غير أن يكلف نفسه عناء الوقوف عند كل مفردة، ولا استبدال غيره به في موضعه، وفي ذلك يقول مناع القطان: "إن علماء الإسلام إذا قاموا بتفسير للقرآن يتوخى فيه أداء المعنى القريب الميسور الراجح ثم يترجم هذا التفسير بأمانة وبراعة، فإن هذا يقال فيه -ترجمة تفسير القرآن-، أو ترجمة تفسيرية، بمعنى شرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى"[1].

وقد ذهب علماء القرآن والتفسير إلى استحالة الترجمة الحرفية وحرمتها، وكذلك المعاني الثانوية، ومشقة ترجمة المعاني الأصلية، ولم يبق إلا ترجمة تفسير القرآن الكريم، وهي ما اصطلحوا عليه بالترجمة التفسيرية، ومن ثم فإن المفسر يتكلم بلهجة المبيِّن لمعنى الكلام على حسب فهمه، فكأنه يقول للناس: هذا ما أفهمه من الآية. والمترجم يتكلم بلهجة من أحاط بمعنى الكلام وصبه في ألفاظ لغة أخرى، فالمفسر يقول في تفسير الآية: يعني كذا، ويذكر فهمه الخاص، أما المترجم فإنه يقول: معنى هذا الكلام هو عين معنى الآية [2]، وينبغي أن يؤكد في الترجمة التفسيرية أنها ترجمة لفهم شخصي خاص لا تتضمن وجوه التأويل المحتملة لمعاني القرآن الكريم، وانما تتضمن ما أدركه المفسر منها.

ومن ثم يلح علينا السؤال الجوهري محل الدراسة، وهو، ماهي الفروق الدقيقة بين التفسير والترجمة ؟

وقد تناول العلماء اللغويون هذه المسألة وأطنبوا القول فيها، وتعددت وجهات النظر، وسنأخذ في هذه الدراسة أيسرها لكي تتناسب مع ما تصبو إليه هذه الورقة من أن الترجمة هي منبثقة من التفسير.

3 - الفروق بين الترجمة والتفسير:

إن محل النزاع والخلاف حول ترهات الترجمة وانحرافاتها كان منطلقه من تحديد الدلالات الدقيقة لكل مصطلح في مجاله، ومن تم فإن الخلط شاب هذين المصطلحين على الخصوص ونتج عن ذلك فهم خاطئ لأحوال كلا المفهومين، يقول الإمام الزرقاني: " ومهما تكن الترجمة حرفية أوتفسيرية فإنها غير التفسير مطلقا، سواء أكان تفسير بلغة الأصل أم تفسير بغير لغة الأصل ... ولكن كثيرا من الكاتبين (الكتاب) اشتبه عليهم الأمر فحسبوا أن الترجمة التفسيرية هي التفسير بغير لغة الأصل، أو هي ترجمة تفسير الأصل، ثم رتبوا على

---

1 - مباحث في علوم القرآن ص: 327

2 - المرجع نفسه، ص: 328

ذلك أن خلعوا حكمها على ترجمة الأصل نفسه، وكان لهذا اللبس والاشتباه مدخل في النزاع والخلاف"[1].

وقبل الخوض في أهم الفروق الفاصلة بين الترجمة والتفسير، لابد من الإشارة إلى أن الترجمات لمعاني القرآن الكريم من قبل المسلمين كانت لغرض فهم الدين وتفهيمه لمن لا يعرفون العربية، حيث بدأ ذلك بالترجمة الفارسية التي تمت عام 345ه؛ أي في منتصف القرن الرابع الهجري، وهي ترجمة مختصرة لتفسير الطبري. ومن ثم توالت الترجمات فكان الخلط في المفاهيم، وإليك بسط القول في أهم الفروق الفاصلة بين الترجمة والتفسير، مذيلين ذلك بالتحليل والتعليل:

- الفارق الأول: أن صيغة الترجمة صيغة استقلالية، يراعى فيها الاستغناء بها عن أصلها وحلولها محلها، بعكس التفسير، فإنه قائم دائما على الارتباط بأصله، بأن يؤتى مثلا بالمفرد أو المركب ثم يشرح هذا المفرد أو المركب شرحا متصلا به اتصالا يشبه اتصال المبتدأ بخبره إن لم يكن إياه، ثم ينتقل إلى جزء آخر مفرد أو جملة، وهكذا من بداية التفسير إلى نهايته، بحيث لا يمكن تجريد التفسير وقطع وشائج اتصاله بأصله مطلقا، ولو جرد لتفكك الكلام، وصار لغوا أو أشبه باللغو، فلا يؤدي معنى سليما فضلا عن أن يحل في جملته وتفصيله محل أصله[2].
- الفارق الثاني: أن الترجمة لا يجوز فيها الاستطراد، أما التفسير فيجوز، بل قد يجب فيه الاستطراد، وذلك لأن الترجمة مفروض فيها أنها صورة مطابقة لأصلها حاكية له، فمن الأمانة أن تساويه بدقة من غير زيادة ولا نقص، حتى لو كان في الأصل خطأ لوجب أن يكون الخطأ عينه في الترجمة، بخلاف التفسير، فإن المفروض فيه أنه بيان لأصله وتوضيح له، وقد يقتضي هذا البيان والإيضاح أن يذهب المفسر مذاهب شتى في الاستطراد توجيها لشرحه أو تنويرا لمن يفسر لهم على مقدار حاجتهم إلى الاستطراد، ويظهر ذلك في شرح الألفاظ اللغوية، خصوصا إذا أريد بها غير ما وضعت له، وفي المواضع التي يتوقف فهمها أو الاقتناع بها على ذكر مصطلحات، أو سوق أدلة أو بيان حكمة، وهذا هو السر في أن أكثر تفاسير القرآن الكريم تشتمل على استطرادات متنوعة في علوم اللغة وفي العقائد وفي الفقه وأصوله، وفي أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وفي العلوم الكونية والاجتماعية وغير ذلك، ومن ألوان هذا الاستطراد تنبيهه على خطأ الأصل إذا أخطأ، كما نلاحظ ذلك في شروح الكتب

---

1 - مناهل العرفان.

2 - استقينا هذه الفروق من الإمام الزرقاني في كتابه مناهل العرفان، مع تصرفنا في التركيب وإعادة الصياغة.

العلمية، ويستحيل أن تجد مثل هذا في الترجمة، وإلا كان خروجا عن واجب الأمانة والدقة فيها.

- الفارق الثالث: أن الترجمة تتضمن عرفا دعوى الوفاء بجميع معاني الأصل ومقاصده، وليس كذلك التفسير، فإنه قائم على كمال الإيضاح كما قلنا، سواء أكان هذا الإيضاح بطريق إجمالي أو تفصيلي، متناولا كافة المعاني والمقاصد، أو مقتصرا على بعضها دون بعض طوعا للظروف التي يخضع لها المفسر ومن يفسر لهم، "وأن العرف يحكم بأن التفسير لا يشترط أن يعرض لجميع التفاصيل، بل يكفي فيه بيان المضمون، على حين أنه يرى الترجمة صورة مطابقة لأصلها، وافية بكافة معانيه ومقاصده" [1].
- الفارق الرابع: أن الترجمة تتضمن عرفا دعوى الاطمئنان إلى أن جميع المعاني والمقاصد التي نقلها المترجم هي مدلول كلام الأصل، وأنها مرادة لصاحب الأصل منه، ولا كذلك التفسير، بل المفسر تارة يدعي الاطمئنان، وذلك إن توافرت لديه أدلته، وتارة لا يدعيه، وذلك عندما تعوزه تلك الأدلة، ثم هو طورا يصرح بالاحتمال، ويذكر وجوها محتملة مرجحا بعضها على بعض، وطورا يسكت عن التصريح أو عن الترجيح، وقد يبلغ به الأمر أن يعلن عجزه عن فهم كلمة أو جملة، ويقول: رب الكلام أعلم بمراده، على نحو ما نحفظه لكثير من المفسرين إذا عرضوا لمتشابهات القرآن ولفواتح السور المعروفة.

ويرى عز الدين محمد نجيب في كتابه أسس الترجمة بأن الترجمة تقتضي تحويل أسلوب لغة إلى أسلوب اللغة الأخرى لتوصيل المعنى بدقة [2].ومن هنا تكمن أهمية الترجمة للتفاهم الحضاري والثقافي بين الأمم المختلفة والشعوب المتجانسة. يقول جاك كورتس(1976) [3] "إن اللغة وسيلة نصل بها إلى الثقافة، والثقافة واللغة وجهان ديالكتيان(جدليان) لحقيقة واحدة" ، فالترجمة عملية متكاملة ذات ثلاثة أبعاد لغوي، معرفي وفكري. و"الترجمة هي التعبير بلغة أخرى أو لغة الهدف عما عبر عنه بأخرى لغة المصدر مع الاحتفاظ بالتكافؤات الدلالية والأسلوبية"[4]. ويرى جيمردكتر [5] "الترجمة واحدة من أقدم النشاطات الإنسانية التي مارستها المجتمعات البشرية عبرحدودها اللغوية والثقافية، فهي

---

1 - مناهل العرفان، ص: 116

2 - أنظر أسس الترجمة عز الدين محمد نجيب، ص 5-6

3 - مجلة جامعة دمشق-المجلد27- العدد الثالث+الرابع2011 أ.د. لبانة مشوح.

4- روجرتبىل، ترجمة د. محي الدىن حمىد، الترجمة وعملىاتها النظرىة والتطبىقية، ط:1، 2001، ص4.

5 -جىمردكتر، الترجمة من العربىة الى الإنجلىزىة، مبادئها ومناهجها، تألىف ترجمة عبد الصاحب مهدي علي، إثراء للنشر والتوزىع، ط2007، المقدمة.

وسيلتها في إقامة جسور التفاهم وتبادل المعلومات والمشاركة في عملية التفاعلالفكري والحضاري". وأول من وضع للترجمة صفة المبحث الأكاديمي "شبه المستقل" وهو "دراسات الترجمة" هو الباحث الأمريكي جيمز س هومز 1972م ولم ينشر إلا في العام 1988م[1]. ويضع تيتلر ثلاثة مبادئ (قوانين) أو قواعد للترجمة الجيدة وهي:

- على الترجمة أن تنقل نقلا تاما جميع الأفكار في النص الأصلي.
- يجب أن يتفق أسلوب الكتابة وطرائقها مع أسلوب النص الأصلي وطرائقه.
- يجب أن تتحلى الترجمة باليسر الذي يتحلى به النص الأصلي[2].

ويرى نيدا[3] بأن نجاح الترجمة يعتمد على تحقيق الاستجابة المعادلة، وأن ذلك أحد المتطلبات الأساسيةالأربعة في الترجمة وهي:

- أن يكون لها معنى.
- وأن تنقل روح الأصل وأسلوبه.
- وأن يكون شكل التعبير بها طبيعيا ويسير المأخذ.
- وأن تحدث تأثيرا مماثلا.

ومما سبق يمكننا أن نستنتج أن الترجمة منذ تأسيسها اقترنت بالوفاء والأمانة بنقل روح النص الأصلي وأسلوبه وتأثيره، إلى النص المترجم،ويشير منداي إلى تأثر الترجمة الغربية بالاستعمار وتطويعها لأجندته، وبالتالي ابتعدت شيئا ما عن العلمية إذ يقول: "إن الربط بين الاستعمار والترجمة يقترن بما يقال من أن الترجمة قد نهضت بدور نشيط في عملية الاستعمار، وفي نشر صورة ذات دوافع أيديولوجية للشعوب المستعمرة"[4]،فيمكننا الرجوع إلى تاريخ الترجمة خاصة مع القرآن الكريم، وما حملته تلك الحقبة الزمنية من توجهات ذات بعد استبشاري يضمر العداء التاريخي، وما احتوته الترجمات بتلك الفترة من انحراف ونقص وتشويه، هدفه الأول الابتعاد بالنص القرآني الكريم عن مضمونه ومحتواه حسب زعمهم.حيث إن الله تعالى تكفل بحفظه على مر العصور ومختلف الأجيال.

وبمقارنة الواقع العملي للترجمة خلال مراحلها المختلفة تلك، وما شهدته من رؤى ونظريات ومناهج وأنماط للترجمة مختلفة ومتجانسة جميعا تروم الوصول إلى تحقيق الوفاء والأمانة. كل ذلك نجده من وجهة نظر عربية مبنية على أمهات الكتب والمصادر العربية، أن

1- نظرية الترجمة الحديثة ، مصطفى عناب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان،ص. 6، 2003.

2-المرجع نفسه،ص. 34.

3-المرجع نفسه،ص. 64.

4- المرجع نفسه، ص، 250.

هناك ارتباط وثيق بين علمي التفسير والترجمة. فالترجمة إذا أردناها أن تكون حسب الشروط والمبادئ والأهداف التي وضعها العلماء الغربيون فلا يمكن تحقيقها، وقد لجأ هؤلاء إلى العديد من الإستراتيجيات والرؤى والنظريات، وما زالوا يعملون على ابتكار وتحسين أداء المترجم حسب نظرياتهم. ومن هنا يجد القارئ نفسه أمام حقيقة علمية جلية للعيان، وهي الرجوع لبداية نشأة علم التفسير والترجمة في بداية العصر الإسلامي، والذي يرشدنا ويضعنا أمام العلاقة الحقيقية بينهما، وأنه لا يمكن الفصل بينهما حيث إن الترجمة جزء من التفسير كما جاء في الموروث العربي واللسانيات العربية التي ارتبطت بفهم وتفسير القرآن الكريم، ونقل معانيه البلاغية وأحكامه الشرعية للأمم والشعوب الأخرى.

* لائحة المصادر والمراجع

- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (538هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان،الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.

- أسس الترجمة عز الدين محمد نجيب، مكتبة إبن سيناء، القاهرة،. 2005.

- أليس الصبح بقريب، محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة دار سحنون للنشر،2006م.

- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (1205هـ)، طبعة الكويت (د.ت).

- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (774هـ)تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م.

- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، الطبعة التونسية، تونس، 1997.

- الترجمة وعملىاتها النظرىة والتطبىقة، روجرتبىل، ترجمة د. محي الدىن حمىد، الطبعة الأولى، 2001.

- الترجمة من العربىة إلى الإنجلىزىة، مبادئها ومناهجها، تألىف جىمردكتر، ترجمة عبد الصاحب مهدي علي، إثراء للنشر والتوزىع، ط2007.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م.

- لسان العرب. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، دار صادر، بيروت، لبنان.(د. ت).

- مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (986هـ)،مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ،الطبعة: الثالثة، 1387 هـ - 1967م.

- مجلة جامعة دمشق-المجلد -27العدد الثالث+الرابع 2011 أ.د. لبانة مشوح .

- روجرتبىل، ترجمة د. محي الدىن حمىد، الترجمة وعملىاتها النظرىة والتطبىق، الطبعة الاولى، ، 2001.

- مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، محمد عبد العظيم، دار الفكر، بيروت، ط:3، 1988.

- مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، مكبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، 1421ه-2000م.

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، دار الكتب العلمية، القاهرة،1995.

- الموافقات الشاطبي، ابراهيم بن موسى أبو إسحاق الشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، جار ابن عفان، 1417ه-1997م.

- نظرية الترجمة الحديثة، مصطفى عناب، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان 2003.